ثنائية "الذات" و"الآخر" في روايات نجيب الكيلاني: قراءة تفكيكية لخطاب الهيمنة

نعيم أختر *

ملخص البحث :

يسعى هذا البحث إلى استكشاف ثنائية "الذات" و"الآخر" في المنجز الروائي للدكتور نجيب الكيلاني, عبر مقاربة تفكيكية لخطاب الهيمنة المتضمن في ثنايا النصوص. تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الكيلاني لم يكتفِ برصد الصراع العسكري مع المستعمر, بل غاص في تفكيك البنية الثقافية والمركزية الغربية التي حاولت تنميط "الذات" المسلمة وتهميشها. ومن خلال تحليل نماذج مختارة من رواياته (مثل: نابليون في الأزهر, عذراء جاكرتا, ليالي تركستان), يبرز البحث كيف استطاع الكيلاني صياغة خطاب مضاد تسترد فيه "الذات" فاعليتها الحضارية, متجاوزاً عقدة النقص أمام "الآخر" المتفوق تقنياً. يعتمد البحث على أدوات نقد ما بعد الاستعمار لتوضيح كيف واجهت الرواية الإسلامية "الاستشراق" و"التمثيل المشوه" عبر بناء شخصيات تجسد المقاومة الروحية والفكرية. تخلص الدراسة

* دكتوراه باحث دكتوراه, مركز الدراسات العربية والأفريقية, جامعة جواهر لال نهرو, نيو دلهي.

إلى أن ثنائية الذات والآخر عند الكيلاني ليست مجرد صدام هويات, بل هي محاولة لإعادة بناء الأنا وفق مرجعية قيمية مستقلة ترفض الهيمنة الثقافية بقدر ما ترفض الاحتلال المادي, مما يمنح أدبه بعداً إنسانياً يتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ.

الكلمات المفتاحية : الاستشراق, الآخر, الأدب الإسلامي, الذات, خطاب الهيمنة, نجيب الكيلاني.

مقدمة البحث:

تُعد إشكالية "الذات والآخر" المحور الارتكازي الذي دارت حوله معظم دراسات ما بعد الاستعمار (Post-colonial Studies), وهي الدراسات التي لم تعد تنظر إلى الاستعمار بوصفه مجرد ظاهرة عسكرية تنتهي برحيل الجيوش, بل بوصفه نسقاً ثقافياً يسعى لتكريس "الهيمنة" (Hegemony) وإعادة صياغة هوية الشعوب المستعمرة بما يخدم المركزية الغربية[١]. إن جوهر الخطاب الاستعماري يعتمد في أساسه على خلق ثنائيات ضدية, يظهر فيها "الآخر" الغربي في صورة المتمدن, العقلاني, والمخلص, بينما تُحشر "الذات" الشرقية في خانة التخلف والجمود[٢].

[١] سعيد، عبد الله كريم: **قضايا ما بعد الاستعمار والأدب: نجيب الكيلاني نموذجاً**، رسالة ماجستير (تركيا: جامعة "فان يوزونجو يل"، ٢٠١٩م) ص: ٧.

[٢] سعيد، إدوارد، **الاستشراق**، ترجمة محمد عناني (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧)، ص: ٣٣.

وفي السياق الأدبي العربي، مثلت الرواية أداة فعالة للمقاومة الثقافية، حيث سعى الروائيون العرب إلى تفكيك هذه الصور النمطية. ويبرز اسم الدكتور نجيب الكيلاني كواحد من أهم رواد هذا الاتجاه؛ إذ لم يكن منجزه الروائي مجرد استرجاع للتاريخ أو تسلية سردية، بل كان "وسيلة للتوجيه غير المباشر" لإعادة بناء الوعي الجمعي[٣]. إن الكيلاني، عبر انتمائه لمدرسة "الأدب الإسلامي"، قدم رؤية متمايزة في التعامل مع "الآخر"؛ فهي رؤية لا تنطلق من الانعزال، بل من تفكيك "خطاب الهيمنة" وكشف زيف الادعاءات التنويرية للمستعمر عندما تصطدم بالقيم الروحية والإنسانية للذات المسلمة[٤].

تكمن أهمية هذه الدراسة في تقديم "قراءة تفكيكية" لروايات الكيلاني، تتجاوز السطح السردي لتغوص في كيفية تمثيل الصراع الحضاري. فالمسألة عند الكيلاني ليست مجرد صدام سياسي، بل هي صراع على "السيادة الثقافية"؛ حيث يواجه الكيلاني خطاب "الاستشراق" الذي حوّل الشرق إلى مادة للدراسة والتمثيل المشوه، محاولاً استرداد فاعلية "الذات" وقدرتها على إنتاج المعنى بعيداً عن

[٣] Görmez, Aydın & Saeed, Abdullah: Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer, **International Journal of Social, Political and Economic Research**, Vol 6, Issue 1 (2019) p: 133.

[٤] **محدادي، علي: الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني**، أطروحة دكتوراه (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٤م) ص: ١٢٣.

الوصاية الغربية[٥]. ومن هنا, فإن البحث يسعى للإجابة عن تساؤل مركزي: كيف استطاع نجيب الكيلاني تفكيك آليات الهيمنة في نصوصه؟ وكيف تجلت ثنائية "الذات والآخر" بوصفها محركاً درامياً وفكرياً في مشروعه الروائي؟

المبحث الأول: تجليات "الآخر" في المتخيل الروائي الكيلاني: مقاربة لتفكيك خطاب الهيمنة

لا يمكن مقاربة ثنائية "الذات والآخر" في المنجز الروائي لنجيب الكيلاني بمعزل عن سياق "الهيمنة" (Hegemony) بمفهومها الفكري والسياسي؛ وهي الهيمنة التي سعى المستعمر من خلالها إلى فرض سيادته ليس عبر السلاح فحسب, بل عبر "التبعية الثقافية" وتشويه صورة الذات لدى الشعوب المستعمرة[٦]. في هذا المبحث, نتناول كيف فكك الكيلاني هذا الخطاب عبر رصد صورة "الآخر" الغربي والصهيوني.

١. الآخر الغربي وتهافت الشعارات التنويرية:

[٥] الرحمن، مجيب: دراسات ما بعد الاستعمار في النقد الأدبي العربي: المفهوم والتطبيقات، **مجلة هلال الهند**، المجلد ٥، العدد ٢ (٢٠٢٥م) ص: ١٩٦.

[٦] سعيد، عبد الله كريم: **قضايا ما بعد الاستعمار والأدب: نجيب الكيلاني نموذجاً**، رسالة ماجستير (تركيا: جامعة "فان يوزونجو يل"، ٢٠١٩م) ص: ٧

في رواية "نابليون في الأزهر"، يقدم الكيلاني قراءة تفكيكية للحملة الفرنسية على مصر، مصوراً "الآخر" (نابليون وجنوده) بوصفهم يحملون خطاباً مزدوجاً. فبينما كان الخطاب الظاهر يبشر بـ "التنوير" و"الحرية"، كان الممارس الفعلي يجسد قمة الهيمنة والاستعلاء. يركز الكيلاني على التناقض الصارخ بين وعود نابليون باحترام العقائد وبين واقعة اقتحام الأزهر بالخيول، معتبراً إياها اللحظة التي سقط فيها قناع "الآخر" التنويري[٧]. إن الكيلاني هنا يعيد بناء "الذات" المصرية بوصفها ذاتاً واعية قادرة على كشف "زيف التمثيل" الاستعماري، مؤكداً أن الصراع مع هذا الآخر هو صراع وجودي يرفض الاستلاب[٨].

٢. الآخر الصهيوني والصراع على "تمثيل الأرض":

ينفرد نجيب الكيلاني برسم ملامح "الآخر الصهيوني" في رواياته (مثل: عذراء جاكرتا، وعمر يظهر في القدس) كأداة للهيمنة الإحلالية. فالآخر هنا ليس مجرد خصم سياسي، بل هو كيان يسعى لتغييب "الذات" الفلسطينية وتزييف الذاكرة التاريخية[٩]. ومن خلال دراسة "بناء الشخصية اليهودية" في نصوصه، نجد أن

[٧] المرجع نفسه، ص: ٧٨.
[٨] المرجع نفسه، ص: ٩٠.
[٩] محدادي، علي: **الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني**، أطروحة دكتوراه (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٤م) ص: ٢٢٨.

الكيلاني يفكك آليات الاختراق الثقافي التي يمارسها هذا الآخر، حيث يبرز الصراع في أبعاد ثلاثة: فكري، وسياسي، وديني[١٠]. إن الذات عند الكيلاني تسترد فاعليتها من خلال التمسك بالهوية الروحية، مما يجعل المقاومة فعلاً حضارياً يبدأ من "الوعي" قبل الميدان.

٣. استراتيجية "التوجيه غير المباشر" في مواجهة الهيمنة:

إن تعامل الكيلاني مع الآخر لم يكن مجرد صدام عاطفي، بل كان استخداماً واعياً للرواية كـ "وسيلة للتوجيه غير المباشر"[١١]. فهو يسعى لتحويل القارئ من حالة "الاستهلاك الثقافي" لمنتجات الآخر إلى حالة "النقد والتمحيص". ومن خلال ثنائية (الشرق/الغرب) أو (المستضعف/المستعمر)، نجح الكيلاني في تقديم "خطاب مضاد" (Counter-discourse) يستمد قوته من قيم الأدب الإسلامي، ليثبت أن "الذات" تملك البديل الحضاري القادر على مواجهة المركزية الغربية[١٢].

---

[١٠] المرجع نفسه، ص: ١٢٨ (وانظر أيضاً ص: ١٣٧ و١٤٦ لتفصيل أنواع الصراع).

[١١] Görmez, Aydın & Saeed, Abdullah: Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer, **International Journal of Social, Political and Economic Research**, Vol 6, Issue 1 (2019) p: 133.

[١٢] مامينج، فابية حاج؛ بهجت، منجد مصطفى: روايات نجيب الكيلاني وقيم القيادة لدى الشباب في إصلاح المجتمع، **مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية**، المجلد ١٢ (ديسمبر ٢٠١٩م) ص: ٢٣٣.

المبحث الثاني: استراتيجيات المقاومة الثقافية واسترداد الذات (رواية ليالي تركستان نموذجاً)

إذا كان خطاب الهيمنة يسعى لتهميش "الذات"، فإن نجيب الكيلاني في روايته "ليالي تركستان" يقدم إستراتيجية مضادة تعتمد على "المقاومة الثقافية" واسترداد المركزية المفقودة. فالصراع في هذه الرواية ليس صراعاً حدودياً فحسب، بل هو صراع وجودي بين ذات مسلمة متمسكة بهويتها، وآخر (المستعمر الروسي/الشيوعي) يسعى لطمس هذه الهوية[١٣].

١. التوجيه غير المباشر وفعل التحرر:

حول الكيلاني رواياته إلى "وسيلة للتوجيه غير المباشر"، حيث لم يكتفِ بسرد أحداث الاحتلال، بل سعى لبث قيم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان من خلال النسيج السردي[١٤]. في "ليالي تركستان"، تظهر المقاومة كفعل نابع من الوعي الشعبي؛ فالثوار لا يحاربون بدافع سياسي بحت، بل دفاعاً عن "النمط الثقافي"

[١٣] محمدادي، **الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني**، ص: ١٢٨.
[١٤] Görmez, Aydın & Saeed, Abdullah: Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer, **International Journal of Social, Political and Economic Research**, Vol 6, Issue 1 (2019) p: 140.

و"المعتقد الديني" الذي يحاول الآخر محوه. إن استرداد الذات هنا يبدأ من استعادة "الذاكرة التاريخية" والاعتزاز بالانتماء الحضاري[١٥].

٢. الذات المسلمة والفاعلية الحضارية:

يرفض الكيلاني تصوير "الذات" المسلمة في صورة الضحية السلبية المستسلمة للقدر, بل يقدمها بوصفها ذاتاً "فاعلة" تمتلك زمام المبادرة. ويتجلى ذلك في قدرة الشخصيات على القيادة وإصلاح المجتمع حتى في أحلك ظروف القهر الاستعماري[١٦]. إن هذه الفاعلية هي الرد العملي على خطاب الهيمنة الذي يحاول إقناع المستعمر بعجزه عن إدارة شؤونه دون وصاية الغرب أو الشرق[١٧].

٣. حضور المرأة في خطاب المقاومة:

من الزوايا المهمة في "تفكيك خطاب الهيمنة" عند الكيلاني, هو ربط وضع المرأة بالوعي الثقافي والسياسي للمجتمع. ففي رواية "ليالي تركستان" (وكذلك عذراء جاكرتا), لا تُختزل المرأة في صورة التابع, بل تُقدّم كشريك أساسي في المقاومة

---

[١٥] المرجع نفسه، ص: ١٣٣.

[١٦] ماميتج، فابية حاج؛ بهجت، منجد مصطفى: روايات نجيب الكيلاني وقيم القيادة لدى الشباب في إصلاح المجتمع، **مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية**، مجلد ١٢ (ديسمبر ٢٠١٩م) ص: ٢٣٣.

[١٧] سعيد، عبد الله كريم: **قضايا ما بعد الاستعمار والأدب: نجيب الكيلاني نموذجاً**، رسالة ماجستير (تركيا: جامعة "فان يوزونجو يل"، ٢٠١٩م) ص: ٧.

واسترداد حقوق الإنسان، وهو ما يثبت أن تحرر المجتمع ككل مرتبط بتحرر إرادة أفراده، رجالاً ونساءً، من ربقة الاستلاب الثقافي[١٨].

المبحث الثالث: نحو أفق إنساني عالمي: تجاوز ثنائية الصراع واسترداد الكرامة

لا ينغلق خطاب نجيب الكيلاني عند حدود المواجهة الصدامية مع "الآخر"، بل يسعى لتفكيك الهيمنة من خلال طرح "بديل حضاري" يتسم بالصبغة الإنسانية العالمية. فالهدف النهائي للمقاومة في نصوصه ليس إقصاء الآخر، بل استرداد كرامة "الإنسان" التي سحقها الاستعمار[١٩].

١. الكونية الإسلامية مقابل المركزية الغربية:

يواجه الكيلاني "المركزية الغربية" (Eurocentrism) بتقديم مفهوم "الكونية الإسلامية" التي تعترف بالتنوع البشري وترفض التراتبية العرقية. فالذات في رواياته تنطلق من مرجعية عقدية ترى في البشر جميعاً إخوة في الإنسانية، وهو ما يظهر جلياً في تعامله مع الشخصيات الإنسانية المنصفة من "الآخر" الغربي

[١٨] Görmez & Saeed, **Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer**, p: 140.

[١٩] محدادي، علي: **الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني**، أطروحة دكتوراه (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٤م) ص: ١٢٣.

التي ترفض الظلم الاستعماري[٢٠]. إن هذا التوجه يمثل قمة التفكيك لخطاب الهيمنة؛ لأنه يثبت أن "الذات" المسلمة تملك معايير أخلاقية متجاوزة لضيق الأيديولوجيات الاستعمارية[٢١].

٢. القيم الإنسانية وحقوق الإنسان كأدوات تحرر:

ربط الكيلاني نجاح أي حركة مقاومة بمدى التزامها بالقيم الأخلاقية وحقوق الإنسان. ففي رؤيته ما بعد الاستعمارية, لا يمكن تحقيق التحرر الحقيقي دون النهوض بوعي المجتمع وضمان حقوق المرأة والطفل والمسن[٢٢]. وبذلك, تصبح الرواية عنده "وثيقة أدبية" تشهد على عصر مليء بالتحولات الفلسفية, حيث يبرز "الاتجاه الإنساني" كدرع حماية للهوية الوطنية والدينية ضد الذوبان في الآخر[٢٣].

٣. التمكين الأخلاقي والقيادة:

تتجلى عبقرية الكيلاني في تحويل "الذات" من وضعية المستضعف إلى وضعية "القائد المصلح". فالشباب في رواياته يجسدون قيم القيادة والقدرة على إعادة

---

[٢٠] المرجع نفسه، ص: ١٢٨.

[٢١] سعيد، عبد الله كريم: **قضايا ما بعد الاستعمار والأدب: نجيب الكيلاني نموذجاً**، رسالة ماجستير (تركيا: جامعة "فان يوزونجو يل"، ٢٠١٩م) ص: ٧.

[٢٢] Görmez, Aydın & Saeed, Abdullah: Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer, **International Journal of Social, Political and Economic Research**, Vol 6, Issue 1 (2019) p: 140.

[٢٣] محدادي، **الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني**، ص: ٢٦٠ (ملخص النتائج).

بناء المجتمع من الداخل[٢٤]. هذا التمكين هو الرد العملي الأقوى على "التمثيل المشوه" في الخطاب الاستشراقي الذي صور الإنسان الشرقي ككائن عاجز يحتاج دائماً إلى من يقوده[٢٥].

الخاتمة:

أفضت المقاربة التفكيكية لثنائية "الذات" و"الآخر" في المنجز الروائي لنجيب الكيلاني إلى مجموعة من الاستنتاجات العلمية التي تبرز عمق الرؤية ما بعد الاستعمارية في أدبه. إن الخطاب الروائي عند الكيلاني لم يكتفِ بتصوير المواجهة المادية مع المستعمر, بل تغلغل في بنية المركزية الغربية ليفكك ادعاءاتها التنويرية, معيداً للذات فاعليتها الحضارية وقدرتها على إنتاج المعنى بعيداً عن الوصاية الاستشراقية.

تخلص الدراسة إلى أن الكيلاني نجح في تحويل الرواية إلى فضاء للمقاومة الثقافية, حيث لم يعد "الآخر" هو المركز الذي يحدد ملامح "الذات", بل أصبحت "الذات" هي المبتدأ في صياغة سرديتها الخاصة. وقد تجلى ذلك بوضوح في قدرة

[٢٤] ماميني، فابية حاج؛ بهجت، منجد مصطفى: روايات نجيب الكيلاني وقيم القيادة لدى الشباب في إصلاح المجتمع، **مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية**، مجلد ١٢ (ديسمبر ٢٠١٩م) ص: ٢٣٣.

[٢٥] الرحمن، مجيب: دراسات ما بعد الاستعمار في النقد الأدبي العربي: المفهوم والتطبيقات، **مجلة هلال الهند**، المجلد ٥، العدد ٢ (٢٠٢٥م) ص: ٢٠٥.

النص على كشف زيف "الرسالة التمدينية" المزعومة، وإبراز المقاومة بوصفها فعلاً نابعاً من أصالة قيمية وروحية لا تقبل الاستلاب. وبذلك، فإن ثنائية الذات والآخر عند الكيلاني تخرج من ضيق الصراع الهوياتي لتفتح آفاقاً إنسانية أرحب، تنشد العدالة والكرامة لكل إنسان، وتؤكد أن التحرر الحقيقي يبدأ من تحرير العقل والوعي من قيود التبعية الثقافية.

تفتح هذه النتائج الباب أمام دراسات مستقبلية لمقارنة تمثيلات الآخر في الأدب الإسلامي مع نظيرتها في الأدب العالمي، مما يسهم في إثراء الحوار الحضاري وتعميق الفهم المشترك لقضايا ما بعد الاستعمار.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

١. محدادي، علي: الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني، أطروحة دكتوراه (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م).

٢. الرحمن، مجيب: دراسات ما بعد الاستعمار في النقد الأدبي العربي: المفهوم والتطبيقات، مجلة هلال الهند، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠٢٥م).

٣. سعيد, إدوارد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق, ترجمة: محمد عناني (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, الطبعة الأولى, ٢٠٠٦م).

٤. سعيد, عبد الله كريم: قضايا ما بعد الاستعمار والأدب: نجيب الكيلاني نموذجاً, رسالة ماجستير (تركيا: جامعة "فان يوزونجو يل", معهد العلوم الاجتماعية, ٢٠١٩م).

٥. الكيلاني, نجيب: ليالي تركستان (بيروت: دار النفائس, الطبعة الخامسة, ١٩٨١م).

٦. مامينج, فابية حاج؛ بهجت, منجد مصطفى: روايات نجيب الكيلاني وقيم القيادة لدى الشباب في إصلاح المجتمع, مجلة الدراسات الغوية و الأدبية, (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية, المجلد ١٢, العدد ١٢, ٢٠١٩م).

ثانياً: المراجع الأجنبية

١. Saeed, Abdullah, Najib Al-Kilani as a Postcolonial Writer' ,Aydın Görmez, & International Journal of Social, Political and Economic Research' ,Vol 6, Issue 1, 2019.

٢. Habibullah, Md, Islam and Edward Said: An Overview' ,Golam Gaus Al-Quaderi, & Journal of Postcolonial Cultures and Societies, Vol 4, No 4, 2013.

..... ***** .....